٤(انتقاله الى بغداد وزواجه واولاده ووفاته)

ان السيد صالح لم يتم طول عمره في النجف بل صعد الى بغداد في سنة ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) وكان قد تزوج في النجف ابنة استاذه ومعلمه الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المذكور ولما جاء بغداد تزوج ابنة الحاج محمد علي الشهير بالصفار .

وولد له ستة بنين وست بنات. اما البنون فهم ١: السيد مهدي وكان عالماً فاضلاً ٢: السيد راضي وكان شاعراً مجيداً ماهراً بالتخميس كان اذا خمس قصيدة زاد الأصل حسناً ورونقاً وبهاءً بما يحيطه من درر نظمه البديع ولفظه الرائع وقد اعقب ابناء وهم السيد محمود والسيد جواد والسيد احمد وقد توفوا هم وابوهم ٣: والسيد باقر وقد توفي ٤ السيد حسون ٥ السيد علي وهما حيان يرزقان .

وقد توفي السيد صالح القزويني في بغداد نهار الجمعة بعد الظهر ٥ ربيع الاول من سنة ١٣٠١ هـ (٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٣ م) وكان عمره زهاء ٩٣ سنة ثم نقلت جثته ودفنت في النجف .

قصر بحت نصر [تلو]

وفي وسط هذه الجادة بين القصرين قصر الغمال الشرقي وقصر الجنوب الشرقي رتاج (باب عظيم واسع) مردوج يرى الى

يومنا هذا وهو محفوظ احسن الحفظ . على ان الذى يستوقف طائر بصر الناظر الحائر وخاطر المتجول الزائر ويثير فيه عواطف العجب العجاب هو نقشان بارزان منقوشان فى الآجر نقشاً دقيقاً محكماً متقناً بديعاً رائقاً رائعاً ياخذ بمجامع القلوب ويسحر الالباب ويفتنها فتناً يرى فى كل نقش من هذين النقشين الرائعين ثور اوحيوان خرافى كالثور، لسانه لسان حية نضناض، ومخالبه مخالب ببر هزبر ، وذنبه ذنب عقرب شائل ، وعنقه عنق ثمساح مراوغ . ومن ينظر هذين الحيوانين الغريبين العجيبين البارزى النقش لايتمالك عن ان يحكم حكماً صائباً : ان الاقدمين كانوا قد امنوا كل الاتقان فى هذه الصناعة ، وقد بلغوا منها اقصى الغاية وابعد المرمى .

واما الحيطان الخارجة عن هذه الجادة ، فالظاهر من كلام المورخين انها كانت مزينة باسد من آجر مطلية بطلاء اصفر كالميناء (اى القيشانى اوالكاشانى) على ارض (١) بيضاء .

---

(١) المراد بالارض هنا معناها المجازى . يقال : ارض الثوب وغيره : لونه الغالب عليه اذا كان معه الوان اخرى ، اوبمباره اخرى : هوالون الاصلى عند وجود الوان فرعية فيه وهى عربية فصيحة وان كانت عراقية . قال فى التاج : المثال : برد معروف ، أرضه حمراء ، فيها خطوط سود . ، Fond وهى ايضاً ، الرقعة ، بالعربية الفصيحة . فاحفظ اللفظتين لانك لاتجدها فى المعاجم الفرنسوية العربية .

وقبل ان نشرع فى قوس البحث ونتعهد القسم الاخير من هذا الصرح الممرد وهو أجل قسم فيه ، نغادر هنيهة هذه الاطلال الناطقة بلسانها الاعجم افصح نطق لتعبر الجادة العظمى ونزور دوارس هيكل الزهرة ، وهذا الهيكل يشتمل على فناء صغير ومقدس ومشكاة (روزنة اوروشن) كان يوضع فيها تمثال هذه المعبودة ، وكان التمثال من الذهب الابريز ، وكان قدعقد عليها قبة من الذهب الخالص ايضاً الا انها لم تكن عالية . هذا مانقله الينا الرواة وثقات المورخين ووجد مسطراً فى الرقم المكتشفة فى تلك الانحاء . فاذا علمت هذا تصور الآن تالق تلك القبب المتلالئة حينما تشرق عليها الشمس اوتفيض عليها صيب انوارها عندتكبدها السماء فى بلاد كبلاد الشرق الرائقة الهواء الشفافة الاثير ، الناعمة الاديم . وفى قصر طوله من اربعمائة الى ستمائة متر فى عرض ثلثمائة متر ، وقد تدفقت فيه جميع اعاجيب الكون والطبيعة ، وغرائب الصناعة البديعة ومحاسن الزهو الرائعه البديعة

واما مجدل الجنوب الغربى فانه متصل بمجدل الجنوب الشرقى بابنية فخمةضخمة ، قورآء غراء ، مقسومة الى ردهات وغرف متعددة ، وهو اجل سائر القصور كلها جمعاء ، لانه كان مقام الملك وحاشيته وفى هذا الصرح الممرد ، وجدت الردهة الكبيرة ، ردهة العرش ، التى كان يجمع فيها هذا الطاغية مجلسه العظيم ، ويعقد فيه تلك المقاصد بل المطامع ، التى كان غرض مرماها اخضاع الدنيا كلها

الى صولجانه . فهذه الردهة هي والفناء الداخلي الذي بين يديها محفوظان احسن الحفظ حتى ان الرائي يستطيع ان يشاهد مشاهدة صادقة الطوابيق (الآجر) المفروشة فيهما فوقفنا في هذا المعهد وقوفاً طويلاً نسرح فيه طائر النظر ، ونطلقه على القرون الماضية الخالية المنقرضة فيذهب ويحلق في عالم الخيال ، ويستحضر تلك الامم البائدة من حاضرة وبادية ، ويحييها بلمح البصر ، ويبعث فيها دبيب الحياة ومظاهرها ، ومحاسنها ومساوئها ويشاهد ماكان يصدر من اعمالها . ثم نعيده الى الايام الحاضرة وهو خاسر فض ، فينبئنا بلسان فصيح عن امور لا يسع ايرادها القلم ، لان ذلك اللسان لسان الفكرة لا لسان الفم . ومما صوره لنا هذا الطائر الخيالي مشهد الوليمة الشهيرة التي اولمها بلشصر آخر ملوك بابل ويرويها لنا التنزيل العزيز بتفاصيل تريك الامور بصورتها وحقيقتها ، بل تجعلك كأنك واحد من اولئك المدعوين اليها . ولقد نشر لنا الخيال تلك الحقائق التاريخية من دفائنها اي نشور ، حتى اننا رفعنا اعيننا لننظر الى الحائط الذي كتبت عليه تلك الالفاظ العجيبة ، اوالغريبة ، اوالسرية ، والسحرية ، اوالمطلسمة ، بل الاولى والاصح الالهية اذ خطتها انامل سهوه ، فلم نرها ، فكأننا كنا من اهل الغفلة ، لا من اهل اليقظة ، ومن اهل الذهول ، لا من منتبهي العقول . واننا في عالم الخيال ، لا في عالم المثال .

فيالها من الفاظ ، وما هي الا ثلاثة ! ذمنا ، مثل ، فرس ، .

لكنها من اهول ما كتب في الكتب . ومن اعجب ما دون في الصحف . ومن ادهى ما تحقق تاويله . كيف لا وموءوله دانيال النبي الكبير . فاذا زدت على هذا كله ان الموقف هو الموطن الذى اولمت فيه تلك الوليمة المشؤومة التي عقبها بعد قليل فتح كورش لبابل تحققت ان ما تولانا من الخرس واعتقال اللسان والذهول مالا مزيد عليه وان كان الفاصل بيننا وبين اولئك الاقوام البائدة اعوام مديدة بل عصور عديدة .

ولم نجسر ان نزور في هذا النهار اكثر مما زرنا . خوفاً من ان يكلف غريب لشاطئنا وتخورقوانا . وقد رجعنا الى مضيفنا نمشي الهوينا ونحن نفكر في تلك المسالك الضخمة التي ابدعها بك لكبريائها وغطرستها .

واما منزل القرى فانه مبنى كسائر ابنية هذه البلاد اى انه عبارة عن دار فيها فناء تطل عليه جميع الغرف والعلالي . وهي واسعة ذات رياضة جديرة بما كتبها المهندسين والمتقين الالمانيين . ومن حسنات هذه الدار انها مبنية على عدوة الفرات . وقد تحول قليلاً عن عقيقه الاول الذى كان عليه في عهد حضارة بابل . هذا ووجود الاشجار ، وتدفق الانهار ، وتجاوب الاطيار ، في تلك المواطن الساحرة للانظار وللافكار ، ذكرتنا منفى اليهود الى هذه الديار ، فاخذنا كتاب صلواتنا ، وجلسنا على شط هذا النهر الجليل ، واخذنا نتلو ذاك المزمور الذى مستهله : « على انهار بابل » والذى أنشئ في هذه الاوقات الفناء .

وفى تلك الأثناء كانت الشمس تحدر فى الافق كل الانحدار ، حتى غابت عن الابصار ، ورآه رمال تلك القفار ، فاجبرتنا جنود الظلام ، على العودة الى دار اولئك الكرام ، وفى خلال تناولنا الصعام ، اخذنا تجاذب أطراف الكلام ، ولم تخرج مواضيعها كلها عن امور الحفر والتاريخ ووقائع الايام .

ولما اقبل وقت النوم شعرنا بحاجة عظيمة اليه استجماعاً لقوانا ، لأننا كنا قد عزمنا على ان نسير على دوابنا ست ساعات لنزور ماهو واقع على طف الفرات ، وهو ما يظنه البعض (وظنهم فائل) انه : « برج بابل » ، وتسميه كتب التاريخ : « برج نمروذ » وتسميه العرب منذ سابق العهد الى زمننا هذا : « برس » او « برس نمروذ » وقد ورد ذكره فى كتب الفتوحات كما سنذكره بعيد هذا . والراى الراجح اليوم هو ان هذه الانقاض هى بقايا « هيكل نبو » الذى يتكلم عنه اشعياء النبي والذى كانت تفتخر به بابل .

ومهما يكن من حقيقة الامر فان الليلة كانت طيبة . وما كاد يبين الصباح الاعربيين الا وسمعنا فى جوارنا دويا مبهماً هو جعجعة الجواريش (١) وكانت النساء فى اثناء الطحن يغنين غناء شجياً على نغم واحد . وما سمعنا ذلك الا وتذكرنا كلام

(١) الجواريش ، مفردها جاروشة او جاروش هى رحى اليد ولها اسماء عديدة فى العربية الفصحى منها : الكبدآء ، والقريبة ، والجش ، والجثة ، ورحى اليد

اشعياء النبي القائل لبنات بابل اللواتي رين في الترف والكسل : « انزلي واجلسي على التراب ، ايتها البكر بنت بابل ، اجلسي على الارض ، فانه لا عرش لك يا بنت الكلدانيين ، ولا تدعين من بعد ناعمة مترفة . خذي الرحى واطحني الدقيق ، اكشفي نقابك وشمري الذيل (اشعياء ٤٧ : ١ ـ ٢) ـ . ومن العجب ان مر على كلام الرب قرون وعصور ولم نر ما يكذب ذاك العقاب الذي عاقب به تلك المدينة العظمى من جراء شعب الله . . كنا نتصور عند سماعنا تلك الجمجمة اننا نسمع دائماً ذلك الوعيد يدوي في آذاننا ، ولعل تلك النساء كن مولودات في ارض تلك المدينة القديمة بابل العظيمة .

(الاب يوسف نويس الكرملي)

بقايا قصور الخلفاء في مدينة سامراء

تابع لما في الجزء الخامس

— ٥ —

١ قصر الخليفة

اذا حزت (بركة السباع) أو (ام البطوط) وانت متوجه الى الشمال الغربي ، وقطعت مسافة لا تقل عن ٥٠٠ متر تقف على قصر يعرف اليوم عند اهل سامراء (بقصر الخليفة) . والبعض